

الأدوار الاجتماعية للمرأة خارج نطاق الأسرة في ضوء الخطاب القرآني.

The social roles of women outside the family In light of the Quranic discourse.

دة. زهور شتوح، D.Zhour Chettouh

جامعة باتنة 1، مخبر الأبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر.

إيميل الباحث: zhour.chettouh@univ-batna.dz

الملخص:

وضع الإسلام المرأة في مكانها اللائق بها، واعتبرها أحد مقومات المجتمع الذي يقوم على الرجل والمرأة معا. وقد عرض القرآن الكريم عددا من المبادئ الاجتماعية التي شاركت بها المرأة، وأشار إليها في آياته، وإن كان دور المرأة في الأسرة بحد ذاته يعد دورا هاما في المجتمع، إلا أننا سنعالج في هذه الورقة البحثية بعض الأدوار الاجتماعية خارج نطاق الأسرة، والتي ذكرت في مواضع عدة داخل الخطاب القرآني ومنها: المرأة المهاجرة/ المرأة المبيعة/ المرأة المملكة/ المرأة العاملة، للدلالة على إمكانية انتصار المرأة على عوامل الضعف الأنثوي التي قد تؤثر تأثيرا سلبيا على طريقتهما في إدارة المواقف، فقد كانت هذه المرأة على درجة عالية من الذكاء، والتعقل، وعمق التفكير، وحصافة الرأي وقدرة على تحمل المسؤولية في أحلك الظروف.

الكلمات المفتاحية: الأدوار الاجتماعية، المرأة، الخطاب القرآني، الإسلام، المجتمع.

Abstract:

Islam put women in their proper place, and considered them one of the foundations of society that is based on both men and women. The Holy Qur'an has presented a number of social fields in which women participated, and referred to them in its verses, although the role of women in the family itself is an important role in society. However, we will address in this research paper some of the social roles outside the family, which were mentioned in several places within the Quranic discourse, including: Immigrant woman / pledged woman / queen woman / working woman, To indicate the possibility of a woman's victory over female weakness factors that may negatively affect her way of managing situations. This woman was highly intelligent, thoughtful and able to take responsibility in the darkest of circumstances.

Keywords: the social roles; women; the Quranic discourse; islam; society.

تقديم:

خلق الله الذكر والأنثى، وجعل لكل منهما صفات خلقية يتميز بها عن الآخر، وعلى ضوء تلك الصفات أناط بهما تكاليف منها ما يشتركان فيه، ومنها ما ينفرد به أحدهما عن الآخر، " فقد ساوى الله عز وجل بينهما في الخلق، أصله وأطواره، ولا فرق بين الذكر والأنثى في ذلك، وكذلك ساوى بينهما في الصورة والملامح والأعضاء إلا ما يتعلق بالتناسل، لما يترتب عن ذلك من عمارة الأرض"¹، والأمر فيهما إذا شبيهه بالسالب والموجب، حيث لا يستغني في الحياة عن تكاملهما، وإذا تساويا بطل التكامل وفسد الأمر.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما النساء شقائق الرجال"²، أي مثلهم في الخلق، ومثلهم في التكريم، ومثلهم في العبادة وتحمل المسؤولية، كل حسب قدراته وما فطر عليه، وما اقتضى التكوين الخلقي استثناءه للرجل أو للمرأة، فذلك لكونه لا يصلح له غيره. وبهذا وضع الإسلام المرأة في مكانها اللائق بها، واعتبرها جزء لا يتجزأ من أجزاء المجتمع ومقوما له، فالمجتمع يقوم على الرجل والمرأة، يشير إلى ذلك قوله تعالى: "يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير". (الحجرات: ١٣).

وقد ثبت في مواضع عديدة من الخطاب القرآني مبدأ تساوي الرجال والنساء أمام التكليف الشرعي والجزاء الأخروي، دونما أي فارق بينهما وفي ذلك قوله تعالى: " أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض". آل عمران: ١٩٥

وقوله تعالى: " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا". النساء: ١٢٤

وقوله تعالى: " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون". النحل: ٩٧.

وقوله تعالى: "إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصّائمين والصّائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما". (الأحزاب: ٣٥).

يتضح من خلال هذه الآيات تسوية الإسلام بين الرجل والمرأة أمام التكليف الشرعي والجزاء فكلاهما مكلف من عند الله مخاطب بالأوامر والنواهي، ومحاسب على عمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر " ومن ثم دعى النبي صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء على قدم المساواة للإيمان به، فكان من السابقات إليه خديجة بنت خويلد وسمية بنت خباط (أم عمار) التي كانت أول شهيد في الإسلام كما كان من السابقين إليه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا"³.

والإسلام يعامل شقي النفس الواحدة معاملة واحدة في ذلك، فجعل المرأة تتمتع بالشخصية المستقلة وكمال الإنسانية، فما من عبادة إلا وطولبت بها كالرجل، إلا ما اختص به من عبادات، كالجهاد في سبيل الله، ويرجع السبب في ذلك إلى الرجولة ذاتها، وإعفاء المرأة من ذلك لا يعد انتقاصا من شأنها، فهي أيضا تختص بمسؤوليات شاقة لا يقدر عليها الرجل، كالحمل والولادة والقيام بشؤون بيتها وأولادها⁴، وبهذا ألغى الإسلام كل نظرة دونية وجهت للمرأة، وبين أنها إنسان كامل الأهلية والمسؤولية، "مخاطبة بالتكاليف الشرعية وأوامر كانت أو نواه، فلها الأجر لا ينتقص منه شيئا، ولها الحق في العمل لتنال رضوان الله تعالى وتدخل الجنة، فليس للرجل في ذلك أكثر مما لها، فلو نظرنا لآيات القرآن الكريم نرى أن خطاب الله تعالى جاء موجها لشقي النفس البشرية دون أن يكون لأحدهما أفضلية التقدم على الآخر"⁵

وقد أخذت صورة المرأة عدة أشكال في القرآن الكريم "فمنها ما تضمن نصوصا تشريعية واضحة، جددت حقوق وواجبات المرأة العامة والخاصة، ومنها ما أشار إليها من خلال النص القرآني مثل سورة يوسف ومريم ولوط"⁶ وقد تضمن الخطاب القرآني عدة مراحل أساسية في تطرقه لوضع المرأة حددتها الباحثة سعداوي زهرة في المراحل التالية:

"المرحلة الأولى: أشار فيها القرآن إلى المرأة والرجل بوصفها الإنسان وتقضي بأن الرجل والمرأة كانا جزءا واحدا، "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير". (الحجرات: ١٣). وهما متساويان في الحقوق والواجبات والعقوبات أي أنهما يخضعان إلى نفس التشريع والقانون.

المرحلة الثانية، وهي تمثل حالة الثورة ضد الأنظمة القائمة ليس في المجتمع الذي ظهر فيه الإسلام فقط، بل تمثل رفض السلوكيات غير الطبيعية في كافة المجتمعات والمتعلقة بحالة التمييز بين الذكور والإناث مثل حالة وأد البنات التي كانت شائعة في بعض مناطق الجزيرة العربية، وتنظيم الزواج والعلاقات الجنسية التي كانت سائدة

المرحلة الثالثة وهي تمثل المرحلة الجديدة والتي تضمنت الرؤية الجديدة لواقع وحياة المرأة وضمت تشريعات جديدة تتعلق بمكانة المرأة في المجتمع وحقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية"⁷

حظيت المرأة في ظل الإسلام بحقوقها كاملة وخاضت ميادين شتى، حققت فيها انتصارات عظيمة وأدت من خلالها خدمات جليلة وقيمة لنصرة دينها ولإعلاء كلمة التوحيد في سماء مجتمعتها، وقد عرض الخطاب القرآني عددا من الميادين الاجتماعية التي شاركت بها المرأة، أشار إليها في آياته وإن كان دور المرأة في الأسرة بجد ذاته يعد دورا كبيرا وهاما، وسنعالج في هذا البحث جملة من الأدوار الاجتماعية للمرأة خارج نطاق الأسرة التي تحدث فيها القرآن الكريم:

2- أدوار المرأة الاجتماعية في ضوء الخطاب القرآني:

1.2- المرأة الملكة

والمقصود بها ولاية الدولة العامة، وقد أظهرت عديد الآيات أنه لا توجد فروق بين المرأة والرجل في ولاية الناس أو مزاولة العمل السياسي، يقول الله تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (التوبة: ٧١)، وكذلك قوله تعالى: "ولهنّ مثل الذي عليهم بالمعروف". (البقرة: ٢٢٨).

وقد عرف هذا الموضوع اختلافا بين مؤيد ومعارض لأهلية المرأة للعمل السياسي أو تولي أمر الناس، ومن النماذج التي عرضها القرآن الكريم للمرأة الملكة، وهو نموذج ملكة "سبأ" (بلقيس) كنموذج للمرأة التي حكمت قومها بحكمة ورجاحة عقل وحنكة والتي قال تعالى في عرض قصتها والتي بدأت أحداثها عندما تفقد سليمان الهدد فلم يجده وإذا به يأتيه بخبر خطير، فيخبره أنه وجد قوما تملكهم امرأة يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن سبيل الله، قال تعالى: "إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم". (النمل: ٢٣).

فإذا بسليمان عليه السلام يأمر الهدد بأن يحمل لهم رسالة يدعوهم فيها إلى عبادة الله وحده ويلقبها إليهم وينظر كيف ردة فعلهم "قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه باسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلقوا عليّ واتوني مسلمين". (النمل: ٢٩ - ٣١)، تلقت بلقيس كتاب سليمان فنادت وزراءها وقومها وألقت إليهم بفحوى الكتاب ثم استأنفت الحديث تطلب مشورتهم وتعلن إليهم أنها لن تقطع في الأمر إلا بعد استشارتهم وموافقتهم "قالت يا أيها الملأ افتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون، قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر إليك فانظري ماذا تامر". (النمل: ٣٢ - ٣٣).

أكد لها قومها قوتهم وقدرتهم على خوض المعركة وعدم الاستسلام، ثم ردوا الأمر إليها فهي المقررة أولا وأخيرا بحكم منصبتها، وإيماننا منهم بحكمتها، فجاء ردها لهم مشبعا حكمة وتعقلا قال تعالى: "قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون، وإني مرسله إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون". (النمل: ٣٤ - ٣٥).

ويظهر من الحوار الذي دار بين الملكة ووزراءها أنها كانت تتمتع بحكمة ورجانة عقل، كما كانت تعتمد مشورة قومها، إلا أن هؤلاء الوزراء لم يملكوا أدنى شيء من الحنكة والسياسة فهم لا يعرفون سوى لغة القوة وتنفيذ الأوامر فلم يشيروا عليها بشيء غير إظهار القوة والبأس، وهو ما جعلها تميل إلى الصلح ومعالجة الأمر باللين، موضحة أن الملوك إذا دخلوا قرية بالقوة نشروا فيها الخراب والدمار، وأبادوا حرثها وزرعها وحضارتها، وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وتمادوا في الظلم والاستبداد، وهنا تظهر شخصية المرأة الملكة التي تكره الحرب والدمار، والمحكمة لسلاح اللين والحيلة على سلاح القوة⁸.

وبعد أن وضحت لهم عواقب التسرع بدخول الحرب، وبينت لهم بحكم علمها وخبرتها سياسة الملوك في غزو الدول والدخول عليها، ثم اختارت اختبار سليمان عليه السلام لتبين أملك هو أم نبي، وذلك بإرسال هدية له وانتظار رده لتستبين أمره، وفي هذه الآيات دليل على أن المرأة تستطيع أن تدير الملك وتحسن السياسة.

" فلما جاء سليمان قال أتمدّدوني بمال فما آتاني الله خيرا ممّا ءاتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون". (النمل: ٣٦ - ٣٧).

فلما وصلت الهدية لسليمان عليه السلام ردها إليها رسولها، وأخبرها أن الله تعالى قد أغناه عن ذلك كله، وأنذرهما بقدمه إليها، فلما رجع رسولها بالهدية ورد سليمان عليها عزمته أن تفد هي إليه، وعلم سليمان عليه السلام بذلك، فأعد لها العدة وطلب من أعوانه إتيانه بعرشها وتنكيره، ليكون ذلك معجزة أمامها "فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنّه هو، وأوتينا العلم من قبلها ومنّا مسلمين، وصدها ما كانت تعبد من دون الله، إنّها كانت من قوم كافرين، قيل ادخلي الصرح، فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها، قال إنّّه صرح ممرّد من قوارير، قالت ربّ إنّّي ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين". (النمل: ٤٢ - ٤٤)، وهنا تبرز الحكمة والتعقل اللتين امتازت بهما بلقيس ملكة سبأ.

وكما تحدث القرآن الكريم عن المرأة في موقع الحكم والمملك، فقد عرض كذلك لقوة امرأة الملك، وهي زوجة فرعون واسمها "آسيا بنت مزاحم" وقالت امرأة فرعون قرّت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتّخذة ولدا وهم لا يشعرون". (القصص: ٩)

لقد فرحت آسيا بموسى عليه السلام وأحبته ونهت فرعون وجنوده عن قتله، وقامت بتربيته واهتمت به وأمنت برسالته، "وهو موقف وإن كان داخل نطاق أسرتها إلا أنه غير واقع الحياة الاجتماعية والتاريخية لملك فرعون وشعبه، وكان ذلك الموقف تحققاً لأمر الله ومشيتته في عدم قتل موسى حتى يكون رسولا ينطق بالرسالة في مجتمع أهلكه الاستعباد والاستضعاف"⁹، وذلك يقود إلى التسليم بأن للمرأة في موقع امرأة الملك أو زوجه مكانة كبيرة في المجتمع. وقد تمثلت قوتها في كونها "لم تخش سطوة زوجها لكون أعظم ملوك الأرض في زمانه، ولم تفتتها حياة القصور والدور، ولم يطغها ثراؤها وحب زوجها لها، بل استعلت على كل هذه المغريات وتبرأت من فرعون وقومه، ووقفت وهي المرأة ضعيفة الخلقة تتحدى فرعون أعتى أهل الأرض وأشدّهم طغيانا"¹⁰ ويهدف الخطاب القرآني من وراء ذكره للقصة إبراز الإيمان القوي لزوجات فرعون لثبوتها وتمسكها بالحق.

3. المهاجرة :

هاجرت النساء مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وتعد الهجرة حدثاً تاريخياً مهماً في الحياة السياسية للدولة الإسلامية. وقد ورد ذلك في نص القرآن الكريم " ... اللاتي هاجرن معك". (الأحزاب: ٥٠).

ويجب الأخذ بعين الاعتبار أن قرار الهجرة هو قرار سياسي، وبالتالي فمشاركة المرأة بهذا الدور هي مشاركة سياسية صرفة. "كما تمثل الهجرة النبوية الشريفة تحركاً استراتيجياً ذا أهمية كبيرة ساعد على بناء وتأسيس الدولة الإسلامية حسب المفاهيم التي تحدد وجود الدولة المنظمة، حيث كان الإسلام متشكلاً من مجموعة من المسلمين الملتفين حول الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة ضمن المجتمع الكافر المعادي للإسلام"¹¹، وعندما سألت المرأة المسلمة عن فضل

الهجرة وهل هناك تخصيص للرجال دون النساء، أنزل الله تعالى " فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى لبعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب". (آل عمران: ١٩٥). فجاءت خطوة الهجرة بقرار من النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كانت السياسة حكرا على الرجال وحدهم لبقيت النساء المسلمات بمكة، وما هجرتهن إذن إلا دليل على مشاركتهن في حياة الأمة السياسية.

وجاء ذكر المرأة في القرآن الكريم مشاركة في تلك الهجرة فقال تعالى عن المرأة الراغبة في الهجرة " يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن". (المتحنة: ١٠).

فقد أثبتت الآية خروج المرأة مهاجرة، كما فصلت أحكام هجرة النساء فقوله تعالى: " فامتحنوهن" أمر من الله تعالى بامتحانهن وذلك بأن " يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وقال قتادة : كان امتحانهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن" 12 ، وتخصيص مشاركة المرأة بالذكر في أمر الهجرة له أهمية بالغة " فهذه الهجرة الفاضلة تميز أهلها تميزا ظاهرا لأنها كانت الإعلان العملي عن صدق الإيمان بالتنازل عن أرض المولد والنشأة وعن المال والعصبية وما إلى ذلك، والمغادرة إلى أرض أخرى في سبيل وحبا لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام" 13

لقد شاركت المرأة الرجل في أمر الهجرة وامتازت بذكر مشاركتها في الهجرة عليه " وتخصيص النساء بقرآن يتلى حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، دليل واضح على البعد الذي أعطاه الإسلام لتحرك المرأة على ساحة البناء وإعطاء التحويل الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صورته العملية على أرض الواقع في كل ميدان من الميادين" 14

4. المبايعة:

البيعة في اللغة والاصطلاح تعني: "إعطاء العهد على السمع والطاعة للحاكم أو الأمير من المبايع لإدارة شؤون الجماعة والأمة وفق أحكام الشريعة والالتزام بذلك" 15. ومما يدل على المشاركة السياسية للمرأة في التاريخ الإسلامي المبايعة التي قامت بها النساء للرسول عليه الصلاة والسلام في صلح الحديبية وفي فتح مكة.

إذا فبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والمؤمنات إلى المدينة المنورة، بدأ تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم كان "يبايع الرجال والنساء على السمع والطاعة والنصرة" 16، وخصت بيعة النساء بذكر نصها في القرآن "يا أيها النبي إذا جاءك المومنات يبايعنك..." (المتحنة: ١٢).

فقد أعطى الإسلام للمسلمين الحق في المشاركة السياسية، فالخلافة الصحيحة هي ما كانت نتيجة بيعه حرة " واعترافا بشخصية المرأة في نطاق الدولة، فقد سوى الإسلام بينها وبين الرجل في هذا الحق، وأخذت منها البيعة مستقلة عن الرجل وينطوي هذا على إقرار لكيان المرأة المستقل دون تبعية للرجل وأسوة به في ممارسة الحقوق السياسية والاعتراف بأهليتها لذلك"¹⁷ ، وفوق ذلك كله فإن مما " يجلب السرور إلى النفوس أن عدد المبايعات قد زاد عن أربع مئة امرأة بل اقترب عددهن من خمس مئة"¹⁸ ، لقد ذكرت الآية الكريمة بنود بيعة النساء فبدأت تلك البنود بالقاعدة الأساس التي يقوم عليها التشريع، وهي: توحيد الله تعالى الخالص من الشرك، لأن أساس كل الأمور هو صلاح العقيدة، وجاء بعد ذلك تنظيم السلوك الاجتماعي بباقي بنود البيعة بألا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان ولا يعصين رسول الله صلى الله عليه وسلم في معروف، فإن قبلن وبايعن وبايعهن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على ذلك واستغفر لهن الله عما كان منهن قبل ذلك¹⁹.

ومبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء لها عدة دلالات²⁰:

الأولى: استقلال شخصية المرأة وأنها ليست مجرد تابع للرجل بل هي تباع كما يبيع الرجل.

الثانية: أن بيعة النساء هي بيعة الإسلام والطاعة لرسول الله وهذه يستوي فيها الرجال والنساء.

الثالثة: أن مبايعة النساء للنبي صلى الله عليه وسلم تقوم على أساسين: الأول باعتباره المبلغ عن الله، والثاني باعتباره إمام المسلمين، وما يؤكد ذلك قوله تعالى في الآية السابقة في سورة الممتحنة: ١٢.

ولا يخفى أن البيعة في الإسلام هي شبيهة لعملية الانتخاب أو الإدلاء بالصوت في لغة الديمقراطية الحديثة، لأنها عملية يبدي فيها المسلم قبوله للشخص الذي سيحكمه ويقسم له بالطاعة والولاء، ومن ينكر أن هذا العمل من السياسية سينكر أيضا حق الانتخاب كما هو معروف في عصرنا. إذن فقد كان يسمح للمرأة الإدلاء بصوتها وهذا أبرز صور مشاركتها في الحياة السياسية.

إن نزول قرآن يتلى في مبايعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة المؤمنة " على مافيه هدم الموروث الجاهلي والإسهام في بناء المجتمع وفق المنهج الرباني، يقع ذلك كله أمانة في الأعناق ومسؤولية بالغة الأهمية لا يخرج من عهدتها إلا العمل على ربط المرأة المسلمة اليوم بالأسباب التي كونت المرأة المسلمة بالأمس مع الإفادة من كل جديد يكون في خدمة الهدف الكبير"²¹ ، فالأهمية التي تحملها تلك البيعة للمرأة، إنما تدل على ما ينتظر المرأة المسلمة من مهام عظيمة تتعلق بصياغة مجتمع جديد على المنهج الرباني القويم.

كان للمرأة حضور في الحياة الدينية عموما، كما كانت حاضرة في الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك أحاديث كثيرة مروية في كتب الحديث والمغازي والسير، من ذلك:

قال ابن عباس - رضي الله عنه - جوابا عن أسئلة نجدة: "كُتِبَتْ تَسْأَلُنِي هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَغْزُو بِالنِّسَاءِ؟ وَقَدْ كَانَ يَغْزُو بَهِنَّ، فَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى، وَيُخْذِلْنَ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَأَمَّا بِهِمْ فَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ"²²، قال النووي: "فيه خروج النساء في الغزو والانتفاع بهن في السقي والمداواة ونحوهما، وهذه المداواة لمحارمهن وأزواجهن، وما كان منها لغيرهم لا يكون فيه مس بشرة إلا في موضع الحاجة"²³

وهذا يدل على مشروعية خروج المرأة إلى الغزو، بل حكى النووي في ذلك الإجماع، فقال: "وفي هذا الغزو بالنساء وهو مجمع عليه"²⁴ وبغض النظر عن ثبوت دعوى الإجماع فإن الرواية تدل على مشروعية الخروج إلى الغزو عن طريق السنة التقريرية.

5. العاملة:

لا يوجد في آيات القرآن ما يمنع المرأة من تولي أية وظيفة، تكون صالحة لها مؤهلة للقيام بها كما ينبغي، والأصل العام الذي نستند عليه هو المساواة بينهما إلا فيم دلت النصوص على تخصيصه بأحدهما، وبهذا فنصوص القرآن لا تمنع المرأة من تولي وظيفة مؤهلة لها تماما مثل الرجل، بل نجد في مواضع كثيرة في الخطاب القرآني ما يشير إلى تضامهما في الأمور العامة وتكافلهما للمصلحة العامة²⁵، مثل قوله تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله أن الله عزيز حكيم". (التوبة: ٧١)، والمقصود في الآية بولاية بعضهم البعض أنهم يتناصرون ويتعاضدون لتحقيق المصلحة العامة، فالعمل مشروع في حق كل من الرجل والمرأة على السواء، تعبديا كان أو تكسبيا، والعمل الصالح مقبول من الذكر والأنثى شرط الإيمان، فالقرآن الكريم جعل العمل للمرأة مشروعا سواء كان ذلك بإرادتها أو مجبرة عليه في حدود ضوابط الحاجة والحشمة.

ونجد أن المرأة ساهمت بأعمال شاركت فيها الرجل على أساس قدرتها عليها، كما أنهناك أعمالا تختص بها لوحدها، أثبتت فيها مهارة لا يمكن التغاضي عنها.

وبهذا فقد أباح الإسلام للمرأة أن تعمل والأصل في عملها والأولى هو عملها في منزلها، فقد أكرم الإسلام المرأة وحملها من مسؤولية العمل في البيت مالا يمكن للرجل القيام به فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها، وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"²⁶ إلا أن الإسلام مع هذا ترك مجال العمل خارج الأسرة رحبا لترتاده المرأة ضمن دائرة أنوثتها إن وجدت ضرورة لأن تعمل²⁷.

وقد دعا القرآن الكريم الجميع إلى العمل، محفزا على ذلك الذكر والأنثى في قوله تعالى: "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون". (النحل: ٩٧). فهذه الآية تحفز المؤمنين على العمل الصالح بذكر جزاء يتمناه الكل وهو الحياة الطيبة والجزاء الحسن في الآخرة ودخول الجنة. والعمل الذي حددته الآية هو

عمل كلا الجنسين، والعمل المحدد في الآية هو العمل المتبع لكتاب الله وسنة نبيه، ومن المعاصرين من يرى في تفسيره لهذه الآية أنها تعالج قضية عامة وهي قضية المساواة بين الرجل والمرأة، وفي هذا يقول الشيخ الشعراوي: "أراد الله سبحانه وتعالى أن يقول لنا نحن لا يمنع أن يكون للأنثى عمل صالح... فالعمل الصالح مقبول من الذكر والأنثى على حد سواء شريطة أن يتوفر الإيمان"²⁸

ويركز الخطاب القرآني على العمل الصالح الصادر من المؤمن الذي أطاع الله، وعمل صالحا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ذكرا كان أو أنثى وهو مؤمن بالله موحد له، فما تقدمه المرأة من عمل مشروع تجازى عليه في الدنيا والآخرة كما جاء في تفسير الآية.

لقد عرض القرآن الكريم صورة مشرفة للمرأة العاملة فقد خرجت ابنتا شيخ مدين لرعي الغنم لأن أباهما كان شيخا كبيرا طاعنا في السن وليس له ولد يقوم بالعمل، وإن كان الرعي ليس من الأعمال التي تختص بها المرأة دون الرجل، إلا أن شاهدنا هو القيام به، ونفهم هذا من قوله تعالى: "ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فجاءته إحداها تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت إحداها يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين". (القصص: ٢٣ - ٢٦)، حصل هذا مع ابنتي سيدنا شعيب عليه السلام الذي اضطرت ابنتاه للخروج بدلا عنه وهو الشيخ الكبير.

إن القرآن الكريم مع عرضه لهذا النموذج يعرض الصورة بكافة أبعادها، إذ ألقى الضوء على جملة من الأمور في عرض قصة البنيتين، من تلك الأمور: وقوفهما بمنأى عن الرجال وعدم سقيهما غنمهما إلا بعد انتهاء الرجال، ومنه وضوح إجابتهما على سؤال موسى لهما عن خطيئتهما بأن الدافع لهما على ذلك هو كبر سن والدهما، ومن الأمور التي وضحتها الآية ورسمت معالمها مشية إحدى الفتاتين حين أرسلها والدها لدعوة موسى عليه السلام²⁹، إذ كانت تمشي على استحياء قائلة له: إن أبي يدعوك وبزيادة توضيح ودفع شبهة تقول: ليجزيك أجر ما سقيت لنا، ثم هاهي الصورة تكتمل بطلبها من والدها استجاره للعمل لديه وكفايته وأختها مؤونة العمل والاحتكاك بالرجال مبرزة أهم صفتين فيه تؤهلانه في نظرها للعمل، وهي: قوته على العمل وأمانته على المال³⁰

كما نستشف من خلال الآيات السابقة فضائل ابنة شعيب ومدى عفتها وشرفها فهي جاءت على استحياء، ثم هي تبدي لأبيها رغبتها في موسى عليه السلام إذ لم تستطع أن تخفي ما حملته له من تقدير ورجولة وعفة وأمانة³¹.

فرغم أن المرأة قديما لم يكن خروجها للعمل عادة، إلا أنه اضطررتها الظروف فخرجت محتشمة لتقوم بما يقوم به الرجل، كالأب عند عجزه في هذه الحالة، ويرى الشيخ الشعراوي أن في هذه الآية دليل واضح على جواز عمل المرأة خاصة عندما تضطر لذلك لعجز العائل أو فقدانه³².

ويمكن أن نقول هنا أنه لا يباح من الأعمال للمرأة إلا ما يتفق مع معالم شخصيتها الإسلامية، وما يتسق مع بقية الواجبات التي وكلها الإسلام إليها ومن ثمة فلا تمتن المرأة الأعمال التي تقتضي من شاغلها أن يقيم في مناطق نائية غير معمورة، مع عدم خلوة الرجال بها، أو مخالفة الشرع، ومن هنا نخلص إلى أن نصوص القرآن في مجموعها تبيح للمرأة تولي الوظائف العامة شريطة توافرها على الكفاءة للمنصب.

خاتمة:

- وضع الخطاب القرآني جملة الخصائص التي تختص بها المرأة والتي تتميز بها عن الرجل في أصل خلقها، ككونها سكنا للرجل واختصاصها معه بعمارة الأرض.

- تمتعت المرأة في ظل الإسلام بحقوقها كاملة وخاضت ميادين شتى، حققت فيها انتصارات عظيمة وأدت من خلالها خدمات جليلة وقيمة لنصرة دينها ولإعلاء كلمة التوحيد في مجتمعاتها، وقد عرض القرآن الكريم عددا من الميادين الاجتماعية التي شاركت بها المرأة وأشار إليها في آياته وإن كان دور المرأة في الأسرة بجد ذاته يعد دورا كبيرا وهاما لها في المجتمع.

- يشيد الخطاب القرآني بما تتمتع به المرأة من صفات وأخلاق، في قصة ملكة سبأ التي مدح الله حكمها ورزاقه عقلها، وقصة بنتا شعيب التي مدح الله حياءهما وغيرها.

- إن القرآن يقدم لنا المرأة في صورة ملكة سبأ كإنسانة تملك عقلها ولا تخضع لعاطفتها، منتصرة على عوامل الضعف الأنثوي التي قد تؤثر تأثيرا سلبيا على طريقتها في التفكير أو في إدارة الموقف، فقد كانت هذه المرأة على درجة عالية من الذكاء والتعقل وحصافة الرأي وثراء الذهن وعمق التفكير والقدرة على تحمل المسؤولية في أحلك الظروف.

- أباح الإسلام للمرأة أن تعمل والأصل في عملها والأولى هو عملها في منزلها، فقد أكرم الإسلام المرأة وحملها من مسؤولية العمل في البيت مالا يمكن للرجل القيام به، إلا أن الإسلام مع هذا ترك مجال العمل خارج الأسرة رحبا لترتاده المرأة ضمن دائرة أنوثتها إن وجدت ضرورة لأن تعمل.

- للمرأة دور اجتماعي هام، لذلك يفترض عليها أن تكون فاعلة في مجال التنمية وصناعة الغد وإيجاد حلول للمشكلات وليست مجرد حاضنة فقط.

- جزاء عمل المرأة حددته الآيات القرآنية وهو الحياة الطيبة في الدنيا، وقبول العمل والجنة في الآخرة.

- قدمت المرأة المسلمة أروع الأمثلة في التاريخ الإسلامي في التحمل والجهد وعظيم الصبر، وقد سجل التاريخ لها الكثير من المواقف المشرفة في ساحات الجهاد، مهن على سبيل المثال: الصحابية الجليلة أم عمارة الأنصارية

التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما التفت يميننا ولا شمالا يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دوني" 33
فأي تحمل يفوق تحمل المرأة الضعيفة جسديا ضرب السيوف.

● قائمة المصادر المراجع:

1. أحمد خليل جمعة، بيعة النساء في القرآن والسيرة، ط1، دمشق، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ.
2. أحمد علي حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، بيروت دار المعرفة، [د.ت].
3. إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1421هـ.
4. أمينة طواولة، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية، مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، المجلد الأول، العدد2.
5. حدة عاشوري، عمل المرأة في القرآن الكريم_ دراسة في مشروعيتها عملها، مجلة الإحياء، ع21 جوان، 2018.
6. ابن حنبل، مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، [د.ت].
7. خالد عبد الرحمن العك، شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، ط5، بيروت، دار المعرفة، 1423هـ.
8. رحاب بنت عبد السلام بن عبد المؤمن مكي، الخطاب التربوي في القرآن الكريم مع تصور مقترح للتطبيق في التعليم الجامعي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430_1431هـ.
9. زينب رضوان، المرأة بين الموروث والتجديد، مصر، مكتبة الأسرة، 2000م.
10. سعداوي زهرة، صورة المرأة في النص الديني الإسلام نموذجا، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، ع:7 جامعة الشلف، 2017.
11. سيد الجميلي، أحكام المرأة في القرآن، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت _ لبنان، 1988.
12. عبد الحكيم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج. 1، ط. 4 الكويت: دار القلم، 1990.
13. عبد المنعم عبد الراضي الهاشمي، النساء في القرآن الكريم، دار ابن كثير، ط1، دمشق، 1988م.
14. محمد أديب صالح، موقع المرأة المسلمة بين الإسلام ودعاوى التجديد، ط1، الرياض، شركة العكيان للأبحاث والتطوير، 1326هـ.
15. محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1996.
16. محمد بلتاجي، مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دار السلام، ط1، 1420هـ- 2000م.
17. محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، أعمال المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي، طرابلس 19_21 مارس 2015.
18. محي الدين يحيى بن شرف النووي، أبو زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
19. مرزوق بن هياس الزهراني، حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، دراسة عصرية موثقة، المدينة المنورة، 1428هـ.
20. نورة محمد فهد الرشيد، شخصية المرأة في القصص القرآني، دراسة أدبية تحليلية، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1427هـ.

21. يسرى سعيد عبد الله إفسيسي، عناية القرآن الكريم بالمرأة من خلال سورة النساء، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2016.

هوامش:

- ¹- مرزوق بن هياس الزهراني، حقوق المرأة في ضوء الكتاب والسنة، دراسة عصرية موثقة، المدينة المنورة، 1428هـ، ص: 30.
- ²- ابن حنبل، مسند الإمام أحمد ابن حنبل، تج: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، [د.ت.]، حديث 26195، (43/265).
- ³- محمد بلتاجي، مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، دار السلام، ط1، 1420هـ-2000م، ص: 86.
- ⁴- يسرى سعيد عبد الله إفسيسي، عناية القرآن الكريم بالمرأة من خلال سورة النساء، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2016، ص: 44.
- ⁵- المرجع نفسه، ص: 44.
- ⁶- سعداوي زهرة، صورة المرأة في النص الديني الإسلام نموذجا مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، ع: 7 جامعة الشلف، 2017، ص: 1.
- ⁷- المرجع السابق، ص: 2_1.
- ⁸- عبد المنعم عبد الراضي الهاشمي، النساء في القرآن الكريم، دار ابن كثير، ط1، دمشق، 1988م، ص: 248.
- ⁹- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، أعمال المؤتمر الدولي السابع: المرأة والسلم الأهلي، طرابلس 19_21 مارس 2015، ص: 31.
- ¹⁰- نورة محمد فهد الرشيد، شخصية المرأة في القصص القرآني، دراسة أدبية تحليلية، ط1، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1427هـ، ص: 78.
- ¹¹- أمينة طواولة، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية، مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، المجلد الأول، العدد 2، ص: 40.
- ¹²- إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1421هـ، 4/351.
- ¹³- محمد أديب صالح، موقع المرأة المسلمة بين الإسلام ودعاوى التجديد، ط1، الرياض، شركة العكيان للأبحاث والتطوير، 1326هـ، ص: 229.
- ¹⁴- المرجع السابق، ص: 229.
- ¹⁵- عبد الحكيم أبو شقة، تحرير المرأة في عصر الرسالة، ج. 1، ط. 4 الكويت: دار القلم، 1990، ص. 230.
- ¹⁶- خالد عبد الرحمن العك، شخصية المرأة المسلمة في ضوء القرآن والسنة، ط5، بيروت، دار المعرفة، 1423هـ، ص: 278.
- ¹⁷- زينب رضوان، المرأة بين الموروث والتجديد، مصر، مكتبة الأسرة، 2000م، ص: 77.
- ¹⁸- أحمد خليل جمعة، بيعة النساء في القرآن والسيرة، ط1، دمشق، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ، ص: 98.
- ¹⁹- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرنين الكريم دراسة تحليلية، ص: 32.
- ²⁰- أمينة طواولة، الحقوق السياسية للمرأة في الشريعة الإسلامية، ص: 42.
- ²¹- محمد أديب صالح، موقع المرأة المسلمة بين الإسلام ودعاوى التجديد، ط1، الرياض، شركة العكيان للأبحاث والتطوير، 1326هـ، ص: 250.
- ²²- أخرجه مسلم بن الحجاج، أبو الحسن الشافري، في صحيحه المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تج: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د.ط.ت.]، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات يرضخ لهن، 3/1444، برقم (1812).
- ²³- محي الدين يحيى بن شرف النووي، أبو زكريا، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، 12/188.
- ²⁴- المرجع نفسه، 12/188.
- ²⁵- ينظر: مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ص: 243.
- ²⁶- محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 5/1996، باب المرأة راعية في بيت زوجها حديث رقم (4904) خلاصة درجة الحديث، صحيح.
- ²⁷- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، ص: 33.
- ²⁸- حدة عاشوري، عمل المرأة في القرآن الكريم دراسة في مشروعية عملها، مجلة الإحياء، ع21 جوان، 2018، ص: 301.
- ²⁹- محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، صورة المرأة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، ص: 33.
- ³⁰- ينظر: رحاب بنت عبد السلام بن عبد المؤمن مكي، الخطاب التربوي في القرآن الكريم مع تصور مقترح للتطبيق في التعليم الجامعي رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1430_1431هـ، ص: 179.
- ³¹- سيد الجميلي، أحكام المرأة في القرآن، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1988، ص: 127_128.
- ³²- حدة عاشوري، عمل المرأة في القرآن الكريم دراسة في مشروعية عملها، ص: 306.

³³ - أحمد علي حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، بيروت دار المعرفة، [د.ت]: 80/6 باب مداواة النساء الجرجى، خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.